

الحكومات العربية في الهند و السند

(١٠)

تأليف : القاضي اطهر مباركپوری

ترجمة : الاستاذ عبدالعزيز عزت عبدالجليل

بنو سامة في الملتان

سبق القول بان حكام بنى سامة في الملتان كانوا من اهل السنة والجماعة وقد صرح العلامة ابن خلدون ان محمد بن قاسم بن سنبه قد خطب باسم الخلافة العباسية، وقد ورثه ابناؤه فاظهروا السنة ولو أنه لا يوجد اى نص يدل على انهم ساروا على نهج أبيهم فى مسلكه ولكن القرائن القوية تدل على ذلك لانهم من اسرة سنية و من جهة اخرى أنهم خطبوا كذلك باسم الخليفة العباسى ودعوا له على منابرهم فضلا عن انهم كانوا يهتمون باداء صلاة الجمعة و يخرجون لها فى موكب و ذلك من اقوى الا دلة على انهم كانوا من اهل السنة والجماعة و هو نفس السبب الذى دعا الا سماعيليين على تفويض حكومتهم - وقد كتب ابو دلف فى شان الملتان مايتى : والمسجد الجامع مصاقب لهذه القبة والاسلام بها ظاهر والا مر بالمعروف والنهى عن المنكر شامل كما كتب ابن رسته : وهم يدعون لاسير المومنين و كتب الاضطخري : ولا يطيع صاحب المنصورة

(١) معجم البلدان ج ٥ ص ٤١٩

(٢) الاعلاق النفسية ص ١٣٥

الا أنه يخطب للخليفة (١) أما آخر تصريح في شان بنى منبه في الملتان فهو
لا بن حوقل الذى يقول : وهو ليس فى طاعة احد وخطبته لبنى العباس (٢)
والغرض أن حكام بنى سامة فى الملتان كانوا احرارا فى اسورهم الداخلية
و تصريفها -

الخلفاء الذين دعى باسمهم

و نذكر فيما يلى اسماء الخلفاء الذين دعى لهم فى الخطبة من فجر حكومة
بنى سامة الى نهايتها وهم :

(١)	أبو العباس أحمد	المعتضد بالله	من سنة ٢٧٩ هـ	المتوفى سنة ٢٩٥ هـ
(٢)	أبو محمد على	المكتفى بالله	المتوفى	٢٩٥ هـ
(٣)	أبو الفضل جعفر	المقتدر بالله	قتل	٤٢٠ هـ
(٤)	أبو منصور محمد	القاهر بالله	خلع	٣٢٢ هـ
(٥)	أبو العباس	الراضى بالله	توفى	٣٢٩ هـ
(٦)	أبو اسحاق ابراهيم	المتقى بالله	خلع	٣٣٢ هـ
(٧)	أبو القاسم عبدالله	المكتفى بالله	خلع	٣٣٤ هـ
(٨)	أبو القاسم فضل	المطيع لله	توفى اوخلع	٣٦٤ هـ
(٩)	أبو بكر عبدالكريم	الطائع لله	خلع	٣٨١ هـ

القوة الحربية لبنى سامة

ذكر ابن رسته ما يدل على أن بنى سامة قد جمعوا كل قوتهم، و عبأوا كل

(١) مسالك الممالك ص ١٧٥

(٢) صور الارض بجوالة الرجال السند والهند ص ٢٤٦

جيوشهم في أول أيامهم، و ذلك لموا جهة غارات جيرانهم من الحكام الهندوك كما كتب المسعودى عن قوة صاحب الملتان ما يأتى : و هو ذو جيش و منعة و هو ثغر من ثغور المسلمين الكبار (١).

و كان راجا قنوج هو أشد الجيرن عداوة، و خطرا و كان له جيش قوى تدل عليه عبارة المسعودى التى ذكر فيها أن لراجا قنوج أربع فرق من الجند و كل فرقة تشتمل على ما يقرب من تسعة آلاف جندى و أنها أى هذه الفرق الاربعة مشغولة فى جهات المملكة الاربعة بالدفاع عنها و على حدودها.

مع المسلمين و يستطرد المسعودى قائلا : فيحارب بجيش الشمال صاحب الملتان و من معه فى تلك الثغور من المسلمين (٢)

و معنى هذا ان سلاطين الملتان كانوا يقا و مون قوة كبيرة لا تقل عن تسعة آلاف جندى و من أجل هذا جعلو معسكرهم فى "جندراور"، قريبا من الملتان وقد استطاعوا أخيرا ان يخضعوا قنوج يقول المسعودى : وصارت اليوم فى حيز الاسلام و هى من أعمال الملتان (٣)

وقد كتب بشارة المقدسى : أنه قبل سنة ٣٧٥ كان فى أطراف قنوج أشجار و بساتين يتوسطها المسجد الجامع، واللحم بهارخيص ، و غذاء المسلمين العام القمح، و بها كثير من العلماء والشخصيات، وللمسلمين حاكم و سلطان مستقل مع أن الاكثرية من غير المسلمين، و من ثنايا هذا الكلام نستطيع أن نستنج

(١) مروج الذهب ص ١٦٧ ج ١

(٢) مروج الذهب ص ١٦٧ ج ١

(٣) مروج الذهب ج ١ ص ١٦٦

كم كانت قوة بنو سامية ؟ و كيف انتشرت فى أرجاء سلطنتهم العلوم الدينية بسرعة فائقة -

حكمة هارون بن موسى

يقول المسعودى : وقد كان بالملتان من أرض السند رجل يدعى هارون بن موسى مولى الأزد وكان شاعرا شجاعا ذا رياسة فى قومه و منعة بأرض السند مما يلي أرض الملتان و كان فى حصن له (١)

وكان عند ما يحمل الهندوك على الملتان يخرج إليهم موسى بن هارون هذا ويحارب مع المسلمين وحدث ذات مرة انه اتخذ حيلة اثناء احدى المعارك فقد أخفى فى ثوبه قطة و تقدم من الراجا الذى كان يحارب على فيله ثم اطلق القطة فجاءة فذعر الراجا وولى هاربا ، ومن ورائه جميع الفيلة وقد انشد موسى قصيدة على تلك الواقعة مطلعها :

أليس عجبا بأن قلقه له فطن الاسد فى جرم فيل

وقد نقل المسعودى كل أبيات هذه القصيدة و شرح الفاظها الصعبة -

النقود والاقبسة والأوزان

راج فى الملتان السير المكي وكذلك " المطل " ، ولم نحصل على معرفة نوع السكة التى كان يستعملها الساميون ، والغالب أنها كانت مثل الدرهم الفاطمى فى مصر و أفريقيا شكلا ووزنا كما كانت سكة الغزنويين " الضهرى " ، التى تشبه " قروض اليمن " ، وكانت هناك عملة أخرى رائجة يطلق عليها " قروية " ، (٢)

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ١٧٩

(٢) احسن التقاسيم ص ٤٧٢

الحدود و أوهم الا مكنه

يطلق لفظ الملتان على كل المنطقة، والملتان كذلك مدينة عدها بعض الجغرافيين من بلاد السند والان منطقة في الهند وقد ذكر الوزير المهلبى ماياتى : اعمال الملتان واسعة من الغرب الى حدود مكران و من الجنوب إلى حدود المنصورة (١)

و كتب المسعودى أن الملتان و كل المناطق العامرة التي ترتبط بها من السند فيقول : وحو ثغر الملتان من ضياعه و قراه عشرون ومائة الف قرية مما يقع عليه الا حصاء والعد- (٢)

والمسافة بين الملتان والمنصورة ٧٥ فرسخا سنديا ، والفرسخ السندي ثمانية أميال و بهذا الحساب تكون المسافة بين كلتا العاصمتين ٥٦٠ ميلا- وقد عد المقدسى المنصورة في اقليم السند، وكذلك الملتان و مكران و قنوج- والبنجاب، و ذكر أن الملتان هي عاصمة الحكومة وان كل المملكة تسمى بها و من خلال هذه التصريحات نعرف مدى اتساع رقعة حكومة بنى سامة خاصة و اذا كانت قنوج قد دخلت فيها، ويؤيد ذلك أن المسعودى قد كتب أن على قنوج أمير و سلطان و مقرر من طرف ملوك بنى سامة-

الفتوحات الاسلاميه في اقليم الملتان

لقد وصلت اقدام الغزاة العرب والفاحين أول الامر إلى مكران والسند، و كان أول قدم مهم في الملتان في الثلث الأخير من القرن الأول تحت قيادة

(٢) تقويم البلدان ص ٣٥٠ طبع باريس

(٣) مروج الذهب ج ١ ص ١٦٨

محمد بن القاسم، الذي عند ما وصل هناك اشتبك معهم في معركة كبيرة فافتحم عليهم الملتان، وحاصر المدينة كلها لمدة طويلة حتى كادت ان تنفذ المواد التموينية للجيش و الاشياء الضرورية له، و في هذه الاثناء خرج احد الملتانيين طالبا الايمان من محمد بن القاسم وأطلععه على حقيقة الحال داخل الحصار ووضح له انهم يشربون من مياه خليج (نهر مجد) فجعلوا في داخل المدينة بركة يغذيها هذا الخليج بمائه، فقام محمد بن القاسم بسد هذا الخليج عليهم على الرغم من عمقه، فاضطر المحاصرون الى الخضوع والتسليم، وقد امر بقتل المحاربين و سجن الباقين و من بينهم ستة آلاف من سدنة بيت الاصنام والمتصقين به، واستولى المسلمون على كمية كبيرة من الذهب كانت موجودة بخزانة النذور التي بلغ طولها عشرة أذرع و عرضها كذلك و كان في أعلاها فتحة تسقط منه قطعات الذهب، و لما كان المسلمون آنذاك في ضيق مادي شديد فقد أطلقوا على الملتان "فرج بيت الذهب"، -

و في هذا كتب ابن خرداذبه : أصاب في بيت بها أربعين بهارا ذهباً وللبهار ثلثمائة و ثلاثون منا فسميت فرج بيت الذهب والفرج الثغر يكون يبلغ ذلك الذهب ألفي ألف و ثلثمائة الف و سبعة و تسعون و ستمائة مثقال (١) -

و في رمضان سنة ٩٥ هـ وصل إلى محمد بن القاسم نبأ وفاة الحجاج بن يوسف الثقفي و كان قد توجه الى الور و بغرور (٢) وتم فتح هذه المنطقة في عهد الوليد بن عبدالملك اثناء ولاية الحجاج على يد محمد بن القاسم، و ظلت تعد كجزء من الخلافة الاسلامية في العصرين الاموي و العباسي

(١) المسالك والممالك ص ٥٦

(٢) فتوح البلدان

مدينة الملتان

و كانت دولة الملتان فى عهد بنى سامة تضم بين جنباتها مائة و عشرين ألف قرية و مدينة ولكننا لم نقف الا على اسماء اهم المدن التى ذكرها المقدسى، وقد تنطق الملتان بالطاء بدلا من التاء "المولطان"، و قد ذكر ابن رسة ان نهر السند يجرى وسطها، وانه يساوى دجلة أو يقرب منه، ولكن الاصطخرى عدها من بلاد الهند، و أوضح أنها فى عمارتها و عمرانها على النصف من المنصورة و بها القصدير، و تسمى "بيت فرج الذهب"، -

أما المقدسى فقد كتب أن الملتان مثل المنصورة، ولكن المنصورة اكثر عمراناً و ان عمارات الملتان تشبه بيوت سيراف من حيث اشتمالها على عدة طوابق و تسقيفها بخشب الساج، و استطرد يقول : و ليس بها زناة ولا شاربو خمر، و اذا ضبط منهم أحد يقترب ذلك فيقام عليه الحد الشرعى، و من أخلاقهم أنهم لا يكذبون فى التجارة، ولا يغشون فيها، و حكامهم عادلون ولا تقع عينك على امرأة سافرة، أو رجل يكلم سيدة فى الأسواق، واللغة الفارسية مستعملة، والناس اجسامهم صحيحة و أبدانهم قوية،(١) -

المسافات بين الملتان الى مختلف الامكنه

من الملتان إلى غزني ثمانون فرسخاً، و تقطع هذه المسافة احياناً فى ثلاثة شهور و من الملتان الى المنصورة طريقان : احد هما يمر بالعمران و القرى، و مسافته أربعون فرسخاً، و الآخر يمضى فى الوديان قليلة العمران و طوله مائة فرسخ -

عشر مراحل

و من الملتان إلى باكس

ومن الملتان إلى قنداييل عشر مراحل
 ومن الملتان إلى بسمر مرحلتان
 ومن الملتان إلى قصدار عشرون مرحلة
 ومن الملتان إلى زرنج "كستان"، مسافة شهرين (١)

و كتب المسعودى عن قنوج أنها فى عهد بنى سامة أصبحت تحت سيطرتهم -
 وقد صارت اليوم فى حيز الاسلام وهى من اعمال الملتان (٢) -

و لعل هذا هو السبب الذى دعا كل المؤرخين والجغرافيين إلى الكتابة
 بالتفصيل عن قنوج، و بعضهم ذكر أن مساحتها كانت ٩٦ ميلا طولا و مثلها
 عرضا، و عد المقدسى منها قدار، ابار، كهاره، بارد، جين، اوره، زهوهر، برهبر
 و غيرها -

كتب ياقوت الحموى فى شأن لاهور: وهى مدينة عظيمة فى بلاد الهند (١) -

و كتب القلشندى: وهى مدينة كبيرة كثيرة الخير خرج منها جماعة
 من أهل العلم - و طول البلد مائة درجة و عرضها (٢)

و فى سنة ٤٤٤ أثناء خلافة معاوية توجه المهلب بن أبى صفرة إلى الهند
 و اشتبك مع الأعداء فى بنه و لاهور و حقق نصرا، و يغلب على ظننا أن كهارة
 التى عدها المقدسى من مملكة قنوج هى بنفسها لاهور -

و كتب المقدسى عن أهل الملتان: يجبون الغرباء و أكثرهم العرب -

(١) احسن التقاسيم والممالك وغيرهما

(٢) مروج الذهب ج-١ ص ١٦٥

و كتب المسعودى عن أحوال التجارة : و القوافل فيها إلى خراسان
متصلة -

الحالة الدينية والاخلاقية

حسبنا أن نذكر هنا ما كتبه أبودلف في حق الملتان وأهلها فيقول : والاسلام
بها ظاهر والامر بالمعروف والنهي عن المنكر بها شامل (١) -
وانه لمن دواعى الأسف اننا لم نستطع الوقوف على حالة العلماء والمحدثين
فى عهد حكومة بنى سامة فى الملتان مع انهم كانوا كالشموس والاقمار -

الرعايا غير المسلمين

كان أغلب سكان الملتان من غير المسلمين، و كان المسلمون يقيمون فى
المدن، وقد تمتعت كل الفرق الدينية والطوائف المذهبية بجزية كاملة، و زوال
الهندوس عباداتهم بجزية تامة، واييح لهم الحج إلى بيت الاصنام، والمعابد الاخرى
التي كانوا يهرعون اليها كلما حزبتهم أمر، وكان للصنم الموجود فى "بهيرو"،
طلسما بحيث إذا أراد انسان أن يلمسه لا تصل اليه يده، كما كانت هناك عين
ينساب منها ماء أكثر برودة من الثلج، يلثم الجروح، و يشفى القروح و كانت
نفقات السدنة تدفع لهم من أجور البغايا فقد كان من المروج أن الشخص الذى
يجب ابنته كثيرا يهبها لهذا المعبد -

"راجا قنوج"

ذكر المسعودى فى سنة ٣٠٣ أن مملكة راجا قنوج قد دخلت تحت سيطرة

(١) معجم البلدان ج ٥ ص ٤١٩

حكومة الملتان الغربية و تبدلت العداوة بالصدافة بل تعمقت الى حد أن سوباتك(١) راجا قنوج الذى توفى سنة ٣٣٣ ادعى الصحبة، وأنه ذهب إلى مكة وأن الرسول أنفذ إليه حذيفة واسامة وصهيبا لدعوته الى الاسلام فأسلم -

وقد كتب كل من اسحاق بن ابراهيم الطوسى و ابو سعيد مظفر بن اسد الله الحنفى و غير هما انهما قد سمعا ذلك شفويا من سرياتك -

ولكن الحافظ بن حجر قد كذب تلك الدعوى فى الاصابة، كما ادعى شخص آخر فى القرن السادس الهجرى الصحبة ويدعى "رتن الهندى"، (٢) وقد رد الحافظ كذلك تلك الدعوى ايضا -

(١) جاء فى الاصابة فى تمييز الصحابة ج ٣ ص ١٧٧ ج ٢ ص ٢٢٥ ما يأتى :

سرياتك بفتح اوله و سكون الراء ثم موحده و بعد الالف مشناة ملك الهند روى أبو موسى فى الذيل من طريق ميسر بن احمد الا سقرائينى صاحب يحيى بن يحيى النيسابورى حد ثنا مكى بن احمد البردعى سمعت اسحاق بن ابراهيم الطوسى يقول هوا بن سبع و تسعين سنة قال : رأيت سرياتك ملك الهند فى بلدة تسمى قنوج بقاف و نون ثقيلة وواو ساكنة و بعد ها جيم و قيل ميم بدل النون فقلت له كم اتى عليك من السنين قال سبعمائة و خمس و عشرين سنة وزعم ان النبى صلى الله عليه وسلم انفذ اليه حذيفة واسامة وصهيبا يدعونه للاسلام فأجاب و أسلم و قال الذهبى فى التجريد هذا كذب واضح -

وقال أبو حاتم احمد بن محمد بن حامد البلوى أنبانا بالويه بن بكر بن ابراهيم سمعت ابا سعيد مظفر بن اسد الحنفى المطيب سمعت سرياتك الهندى يقول : رأيت محمدا صلى الله عليه وسلم مرتين بمكة و المدينة و كان من أحسن الناس و جهاربعه من الرجال قال مات سرياتك سنة ٣٣٣ ثلاثة و ثلاثين و ثلثمائة و هوا بن ٨٩٤ سنة قاله مظفر بن اسد -

(٢) الاصابة المجلد الثانى ص ١٢١ :

قال الحافظ بن حجر رتن بن عبد الله الهندى ثم البترندى و قال البرندى و قال رطن بالطاء بدل التاء ابن ساهوك بن جنكد ربو هكذا وجدته مضبوطا بخط من أثق به و ضبط بقاف بدل الواو و قال رتن بن نصر بن كربال، قيل رتن بن مندن بن هندى شفيخ حفى خير بزعمه دهرا طويلا الى

العلماء الملتانيون

لا شك أن العلوم و الفنون قد ارتقت في عهد "بني سامة"، وانبثت ارض
الملتان كثيرا من العلماء المسلمين الذين فاضت بركاتهم وعم نفعهم -

وقد كتب الامام الذهبي المتوفى سنة ٥٧٤٨ هـ في كتاب المشتبه في الرجال
واسمائهم و أنسابهم "الجزء الثاني ص ٦١١ طبع مصر ماياتي :

الملتاني نسبة الى الملتان مدينة بالهند ما علمت من ينسب اليها -

ولكننا فيما بعد عهد الساميين نجد ذكرا لبعض العلماء وحا لاتهم و منهم
شيخ الاسلام زكريا الملتاني، و كذلك الحال بالنسبة لمملكة قنوج فلم نحصل
على اسماء العلماء القدامى ولكن كان منهم فيما بعد كثير ذكرهم ابن الجزرى
في "غاية النهاية في طبقات القراء"،

و من علماء لاهور:

(١) الشيخ اسماعيل اللاهورى الذى اسلم على يديه خلق كثير و توفى

سنة ٤٤٨ -

أن ظهر على رأس القرن السادس فادعى الصحبة فروى عنه ولداه محمود و عبدالله و موسى بن محلى
بن بندار السد ترى و الحسن بن محمد الحسينى الخراسانى والكمال الشيرازى و اسماعيل العارفى وابو
الفضل عثمان بن أبى بكر بن سعيد الارملى -

وقد ذكره الذهبي فى التجريد فقال : رتن الهندى شيخ ظهر بعد ستمائه بالشرق وادعى
الصحبة فسمع منه الجهال ولا وجود له بل اختلق اسمه بعض الكذابين و انما ذكرته بعجب كما
ذكر أبو موسى سرياتك الهندى بل هذا ابليس اللعين -

و ذكره الذهبي فى ميزان الاعتدال فقال : رتن الهندى وما أدراك مارتن ؟

شيخ دجال بلا ريب و قد قيل انه مات سنة اثنتين و ثلاثين و ستمائة و مع كونه كذابا فقد كذبوا
عليه -

(٢) أبو الفتح عبد الصمد بن عبدالرحمن اللاهوري و ذكره السمعاني

و توفي سنة ٤٢٩هـ -

(٣) أبو حسن علي بن عمر بن حكم اللاهوري و كان محدثا و شاعرا

و ادبيا -

(٤) عمرو بن سعيد اللاهوري وقد ذكره ياقوت الحموي و روى عنه

الحديث عدة رجال -

اه الدولة السامية و تليها الدولة المعدانية -

